مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد (٣١)
ذو القعدة ١٤٠٦ هـ - ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ

السنة العاشرة
تموز - كانون أول ١٩٨٦ م

ظاهرة «بجد كفت» بين العربيّة واللغات السّاميّة – دراسة مقارنة

د. إسماعيل أحمد عمايرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

تطالعنا بعض المعاجم العربيّة بطائفةٍ من الألفاظ التي تحمل، ولا يفرق بينها سوى أنّ حروفها تتلوّن فتنطق على وجهين، فيقال: غَدَفَ وَجَذَفَ وجَدَفَ بمعنى واحد، مع فارق واحد الى اللفظ، وهو أنّ الجيم قد تبادلت مع الغين في غدف وجدف، وأنّ الدال قد تبادلت مع الذال في جَدَف وجَذَف. وقد عُولجت هذه الألفاظ في المعاجم على أنّ كلّاً منها مادة لغويّة مستقلّة. وعلى هذا فإن صلةَ قرابة كل من هذه المواد بالأخرى هي صلة القرابة التي تجمع بين المترادفات اللغويّة. وتشير بعض هذه المعاجم – كلسان العرب لابن منظور – إلى صلة أوثق بين بعض هذه المواد؛ فهي لهجات قبائل مختلفة، وما ينطق بالتاء (غتّ) ينطق بالثاء في لهجة أخرى (غثّ) وهكذا مما سيتضح لاحقاً بشيء من التفصيل. فالفرق – إذن – على هذا الرأي لا يتجاوز أن يكون كما يحصل اليوم في نطق رجل من القاهرة لكلمة «جميل» مثلا، فإذا اتجهت من القاهرة صوب الشام وجدت أن الجيم قد عُطّشت في الأردن وفلسطين. فإذا حللت بدمشق وبيروت وجدت أنّ نطقها قد ازداد تعطيشاً حتى قاربت الشين، أو قل أصبحت شيناً مجهورة في كثير من أحوال نطقها. فالكلمة واحدة ولكن حرف الجيم فيها قد تلوّن نطقه.

وفي العبريّة والآراميّة والسريانيّة نجد أنّ صوت الكاف من كلمة «ملك» مثلاً يتلوّن؛ فهي في بعض استعمالات هذه الكلمة كاف، وفي بعضها الآخر خاء. وقل مثل ذلك في مجموعة الأحرف التي يجمعها قولك «بجد كفت» كما سنبيّن.

ومما لا شك فيه أنّ العربيّة قبل الإسلام قد مرّت بأطوار عديدة، يُنبيك عن طرف منها تلك الفروق المتفاوتة التي تُلمس بين لغة النقوش القديمة، وبينها وبين الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم. وقد تمكّن علم الساميات من الوقوف على جوانب من هذا التطوّر فما تزال العربيّة تحتفظ بمعالم منه تمثّل الصورة القديمة وما آلت إليه؛ ففي العربيّة صيغة أَفْعَلَ، مثل: أَكْرَمَ وأراق وأعطى... ويقرّر علمُ الساميّات أن هذه الصيغة قد تطوّرت عن صيغةٍ اخرى أقدم منها، وهي: هَفْعَلَ بالهاء ويقابلها بالعبريّة هِفعيل. ولم يعد من هذه الصيغة هَفْعَلَ سوى بقايا قليلة نحو: هراق، وهَراد، وهنار – وهي لغات في: أراق، وأراد، وأنار. فهل لنا أن نلتمس تفسيراً ساميّاً[1] – في ضوء ظاهرة ساميّة مقرّرة، هي ظاهرة «بجد كفت» – للكلمات العربيّة التي تتعاور فيها الدّال مع الذّال، والجيم مع الغين، والكاف مع الخاء، والتاء مع الثاء.

ولنبدأ بالتعريف بظاهرة «بجد كفت» وعلاقتها بالأبجديّة العبريّة، والآراميّة، والسريانيّة، وما عسى أن يُلقي هذا من ضوء على الحروف العربيّة، ثم نتحدث عن بعض الألفاظ العربيّة التي يبدو أنّ ثمة وجهاً من الشّبه يجمع بينها وبين هذه الظاهرة السّامية، ونرى من خلال الموازنة والتحليل: هل يمكن أن يُلتمس تفسير للظاهرة العربيّة في ضوء «بجد كفت»؟ وبتعبير آخر: هل لنا أن نقدّر أنّ قواعد هذه الظاهرة الساميّة كانت ذات يوم سارية المفعول على اللغة العربيّة ثمّ دَرَسَت فبقيت بعض معالمها شاخصة في أشباه: غَتّ، وغَثّ، وجذف، وجدف...؟

فما هي ظاهرة «بجد كفت»؟

ثمّة أحرف ستة في العبريّة، والآرامية، والسريانيّة، تنطق على طريقتين متباينتين. وهذه الأحرف هي التي يجمع بينها قولك: «بجد كفت». وهي ظاهرة معروفة مُقرّرة في هذه اللّغات. أمّا فَرْق النطق بين هاتين الطريقتين فهو أنّك في الطريقة الأولى تنطق هذه الحروف على نحو ما تُنطق عليه في العربيّة، ما عدا الجيم، فهي تُنطق كنطق أهل القاهرة لها، والفاء، وتنطق كنطق الإنجليز لحرف P.

---

(١) انظر: بروكلمان (١٩١٦) ص ١٢٤، ونولدكه (١٩٦٣) ص ٢٨، وفيشر ص ٩٠، ١١٩

وتمييزاً لطريقة النطق هذه فقد عمد العبريون والآراميون إلى وضع نقطة داخل الحرف، هكذا:

בּ = ب، גּ = ج، דּ = د، כּ = ك، פּ = ف، תּ = ت

وأمّا السّريان فوضعوا نقطة فوق كلّ حرف من هذه الأحرف على النحو الآتي:

ܒ = ب، ܓ = ج، ܕ = د، ܟ = ك، ܦ = ف، ܬ = ت

وأمّا الطريقة الثانية فيترتّب عليها أن تنطق الباء كما ينطق حرف (V) بالإنجليزيّة، ولا نظير لهذا في العربيّة. وأمّا الجيم فتصبح غيناً، والدال ذالاً، والكاف خاء، والـ P تصبح فاء، والتاء تصبح ثاء.

وتمييزاً لهذه الطريقة عن سابقتها أهملت النقطة التي توضع على كل حرف من هذه الأحرف في الخط العبري والآرامي. أمّا في الخط السرياني فكانوا يضعون لذلك نقطة تحت الحرف. ولا يلتزمون بذلك إلّا عند تحسّب اللبس بين التلفّظ بالطريقة الأولى ويسمّونها قوشايا ܩܘܫܝܐ أي: القاسي (التلفّظ القاسي)، والطريقة الثانية وتسمى روكاخا، أي: التلفظ اللّين.(١)

وقد تكون علّة التخفّف من الالتزام بهذه النُقَط – سواء ما كان منها تحت الحرف أو فوقه – أنّهم لو التزموا بها لوقعوا في لبس آخر، وهو ازدواجيّة وظيفة النقطة؛ فهي تدلّ على هذا الذي رأينا، وعلى أشياء أخرى، فهي التي تميز عندهم الدال من الراء، إذْ الحرفان لهما رسم واحد هو: ܕ فإذا أعجم من أعلى فهو راء (ܪ)، واذا أعجم من أسفل فهو دال (ܕ). وقد تختلط بالحركات في النظام الشرقي النسطوري، إذ يُعتمد فيه

---

(١) يقابل كلمة «قوشايا» كلمة قاسي، مع ملاحظة أنّ الشين السريانيّة تقابلها السين العربيّة. فمصطلحا: القاسي واللين هما ترجمة حرفيّة عن الأصل السرياني. وقد ترجم نولدكه ص ١٥ هذين المصطلحين ترجمة حرفيّة إلى الألمانيّة. فعبّر عن اللين بـ weich والقاسي بـ hart. وانظر بروكلمان (١٩٨١) ص ١٠ حيث ترجم قوشايا بـ Verhartung وروكاخا بـ Erweichung. ومن الباحثين من يعبّر عن المصطلح الأول بـ «الشديد» (Stops) وعن المصطلح الثاني بـ «الرّخو» (Spirants).

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

حرف الراء، إذن، واحد، ولكنّ نطقه يتلوّن وفقاً لقواعد محدّدة، ولا يصح أن نعتبر هذه الألوان المتعددة لنطق الراء حروفاً متباينة، لأنّه لا يترتب على اختلافها فرق في المعنى.

وهذه هي حال حروف الظاهرة الساميّة «بجد كفت» حين تُنطق على لونها الآخر: «بغد خفث» إذ كل حرف من أحرف المقولة الثانية هو لون من ألوان تصويت المقولة الأولى. فكلمة مَلْكا ܡܠܟܐ السريانية – أي: ملك – يتلوّن فيها صوت الكاف – في ضوء قواعد محدّدة – ليصبح (خ)، فيقال حال الإضافة ܡܠܟ مِليخ. وبذا كان لزاماً أن نتنبّه إلى أنّ هذه الأحرف اللينة التي تنقلب إليها أحرف «بجد كفت» لا تُعَدُّ في تلك اللغات حروفاً مستقلة (فونيمات = Phonemes)، وليس لها رموز كتابيّة خاصة في أبجديّاتها؛ وإنّما تُعَدّ تنوّعاتٍ موقعيّة[1] (ألفونات = allophones) أي تحققات متنوّعة لتلك الأصوات في بيئات صوتية محدّدة.

ولا بأس من ذكر الضوابط التي تميز بين نطق الحرف على نحو ما جاء عليه في المقولة الأولى، أي ما يسمونه بالنطق القاسي لهذه الأحرف – وما جاء عليه في المقولة الثانية أي النطق اللين على حد تعبير السّريان. وفيما يأتي ذكر لأظهر هذه الضوابط مشفوعة بموازنة ما يحصل في العبريّة والسريانيّة بنظيره مما يحصل في العربيّة.

أ – تنطق حروف «بجد كفت» شديدة في الحالات الآتية:

١ – إذا وقع أحدها في أول الكلمة كحرف الباء من كلمة ܒܠܥ بِلَاع السريانيّة أو בָּלַע الآراميّة أو בָּלַע العبريّة ومعناها بلع أو افترس

٢ – إذا توسط أحدها في الكلمة وقد سبقه حرف ساكن، كحرف الكاف في مَلْكا الآراميّة מַלְכָּא (أي: الملك) وفي السريانيّة ܡܠܟܘܬܐ مَلْكوتا (أي:

---

(١) يفترض علماء الساميّات أنّ هذا التنوّع الموقعي – على النحو الذي جاء في المقولتين السالفتين – هو ما كانت عليه اللغة العبريّة القديمة. أمّا اللغة العبريّة الحديثة فلا ينطبق عليها هذا تمام الانطباق. ولنأخذ مثلاً على ذلك، فإن تحوّل الصوت «ج» بالنطق القاهري – وهو النطق القاسي – إلى النطق اللين، وهو «غ» لا وجود له في العبريّة الحديثة. ولا يخفى أنّ العبريّة الحديثة متأثرة بلغات اليهود المعاصرين الأصلية. انظر ريحي كمال (١٩٧٨) ص ٧٨.

ملكوت أو مملكة) وفي العبريّة מַסְגֵּר مَسْجير (أي: صانع أقفال). وينبغي أن يكون هذا الساكن الذي سبق حروف «بجد كفت» ليس هو الحرف الأول في الكلمة، وإلّا كانت ليّنة كما سنبيّن.

٣ – إذا شدّد أحدها. ويأتي التشديد في العبريّة على وجهين:

– صوتيّ: ويعني النقطَ دلالةً على أن حروف «بجد كفت» تنطق نطقاً قاسياً (شديداً) ليس ليّناً (رخواً)، فتنطق الكاف على هذا كافاً وليس خاء. ومن أمثلته מִסְגָד (أي: مسجد) و מִגְדָל (أي: بُرج) و מִשְׁפָּחָה (أسرة)، و מִרְכָּב (مَركب)

– وصرفيّ: ويعني النقط دلالةً على شِدَّة نطق الحرف، أي تضعيفه وإدغامه، نحو: יִתֵּן (يعطي)، אַתָּה (أنتَ). ومن أمثلة ذلك في السريانيّة ܩܕܝܫ (مُقَدَّس)

وتنطق هذه الحروف ليّنة في الحالات الآتية:

١ – إذا كان أحدها في أوّل كلمةٍ وقد اتصل نطق هذه الكلمة بكلمة سابقةٍ منتهية بحرف ساكن مُستتر וְאַתָּה בְּאֶרֶץ فقد انتهت الكلمة الأولى بواو ساكنة، وبدأت الأولى بحرف الباء وهو من حروف «بجد كفت»، إلّا أنّ اتصال الكلام قد أتاح أن تظل الباء بدون الشدّة الخفيفة أي التي تغير نطق الحرف إلى (v) فظل الحرف ينطق هنا (v). هذا في العبريّة. ولننظر الى مثال آخر من السريانيّة حيث يقال: ܪܘܚܐ ܒܫܬܐ روحا بيشتا (أي: الروح الشريرة) فقد انتهت الكلمة الأولى بألف ساكنة؛ وهذا ما جعل الباء في أوّل الكلمة التي تليها. (بيشتا) تنطق (v)

٢ – إذا سُبق الحرف من هذه الأحرف بساكن فالأصل أن هذا الحرف ينطق قاسياً كما بيّنا – واستثناء من هذه القاعدة فإنّ السّاكن الذي يسبق، إن كان أوّل حرف في الكلمة فإنّ الحرف من هذه الحروف ينطق ليّناً.

أمّا تفسير ذلك فهو أنّ الحرف الساكن اذا جاء أوّل الكلمة فلا بدّ من تحريكه حركة خفيفة يسمّيها السّريان والعبريون نصف حركة أو سكوناً متحركاً ﬠ ، فنظير السكون المتحرك ما نجده في حروف القلقلة في العربيّة (قطب جد) إذا كانت ساكنة، فإنها تُقَلْقَلُ عن السكون بما يشبه الحركة.

وتحريك الساكن الأول تحريكاً خفيفاً ظاهرة عامة في اللغات السّاميّة؛ وذلك لأن النظام الصوتي في اللغات الساميّة يكره أن يلتقي صامتان في أوّل الكلمة، ولذا كانت العربيّة تُدخل صوتاً مكسوراً على كلمة (بن) مثلاً لتصبح (ابن) وهذا ما حدث في (انفعل). فتفادياً للبدء بنون ساكنة تتلوها فاء أدخلت همزة الوصل التي تمثّل صوتاً قصيراً مكسوراً. والأمثلة كثيرة في العربيّة، منها: إدخال همزة الوصل على أوّل فعل الأمر، فيقال: اضْرِب. ولو التفت إلى العبريّة والسريانيّة لوجدت الأمثلة لا تنحصر في ما ذكرنا، بل تتجاوزه إلى غير ذلك من الظواهر؛ ففعل الأمر إذا أسند إلى ياء المخاطبة أو واو الجماعة في العبريّة فإنه يشكّل أوّله بكسرة قصيرة (e) وكان الأصل فيه أنّه ساكن، وقد جاءت هذه الكسرة لتفصل بين الساكنين، وبهذا خالفت العربيّة العبريّة.

- فالعربيّة تحاشياً لالتقاء ساكنين في أول الكلمة بدأت بمتحرك مكسور (ممثلاً في همزة الوصل) أي بمكسور ثم ساكن فساكن[1]
- أما العبريّة ففصلت بين الساكنين بإقحام كسرة قصيرة بينها فأصبحت البداية هكذا: ساكن فمكسور فساكن. انظر مثلاً فاء الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة وواو الجماعة فيما يأتي:

תִּשְׁכְּנִי «تسكنين» ولفظها «تِشْكِني»

תִּשְׁכְּנוּ «تسكنون» ولفظها «تِشْكِنو»

إنّ فاء الفعل هي الشين الساكنة (שְׁ) وقد سبقها تاء المضارعة (תִּ)، فلما حُذفت تاء المضارعة وبُني الفعل للأمر متصلاً بهذين الضميرين أصبحت الشين الساكنة

---

(١) انظر حول نظام المقاطع ماكتبه بروكلمان (١٩١٦) ص ٤٦ وجان كانتينو ص ١٩١، والعاني ص ١٣١

في أوّل الكلمة، ولما كان البدء بساكن لا يصحّ التزموا بكسرها هكذا: ܫܟܢ ܘ ܫܟܢ (شِخْني وشِخْنو) ومعناهما: اسكني، واسكنوا.

وهذا ما يحصل في السّريانيّة أيضاً. انظر مثلاً كيف تكون فاء الفعل المضارع مسكّنة في ܢܟܬܘܒ نِخْتوبْ (يَكتب) (الحرف الأوّل النون وهو حرف المضارعة وتقابله الياء في يكتبُ وأمّا الحرف الثاني وهو الخاء – أي الكاف في صورتها اللينة – فهو فاء الفعل) ثم أصبحت فاء الفعل مكسورة كسرة قصيرة تشبه القلقلة في العربيّة حين صيغ منه الأمر هكذا:

ܟܬܘܒ كِتوبْ أي: اكتب.

والظاهرة واردة في الحبشيّة والأكاديّة أيضاً، فهي ظاهرة ساميّة مطّردة[1].

٣ – إذا سُبق أحد أحرف «بجد كفت» الواقع في أوّل الكلمة بأداة اتصلت به، نحو: וְנִבְדַּר יוֹם וּנְבִדַּר לֵילָה مسروقة النهار ومسروقة الليل «جِنُبْتي[2] يوم أو جِنُبْتي لَيْلا»، ونحو וְרָא מָתוּקָה כִּדְבַשׁ هي حلوة كالعسل «هي مَتُوق كِدْبَشْ»[3]. ولعلّنا نلاحظ أنّ الجيم (ג) التي وقعت في أوّل كلمة من الجملة الأولى قد جاءت مشدّدة ولّما سبقت بواو العطف (ו) في الكلمة الثالثة وهي نفس الكلمة الأولى حُذفت منها النقطة، وهي علامة التشديد.

هذا في العبريّة، ولْننظر إلى ما يماثله في السريانيّة

וְרָא מָתוּקָה כִּדְבַשׁ وفتح فمه وعلّمهم «وَفَتَحْ لِفومِيه والِيفْ إنُونْ». لاحظ أنّ حرف الفاء (ܦ) لما سُبق بالواو (ܘ) في الكلمة الأولى، وباللام (ܠ) في الكلمة الثانية فقد وُضعت النقطة تحت الحرف – وهي علامة عدم التشديد في السريانية – ولولا ذلك لكانت النقطة فوق الحرف – وهي عندئذٍ علامة التشديد.

---

(١) انظر بروكلمان (١٩١٦) ص ٨٧

(٢) مشتقة من الأصل ܓܢܒ «جنب» ويقابله في العربيّة خَنَبَ، والخنّاب هو السارق.

(٣) الكاف للتشبيه ويقابل «دبش» في العربيّة الدّبس وهو عسل التّمر.
انظر ابن منظور (دبس)

٤ – ولو اتصلت أداةٌ بكلمةٍ ثانيها حرف من حروف «بجد كفت» وأوّلها ساكن فإن هذه الأداة سيترتب عليها تليين حروف «بجد كفت» ولولا الأداة لنطقت قاسية انظر مثلاً من السريانية :

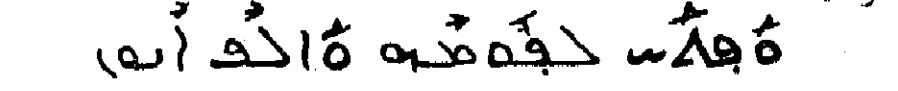

هو قُتل فَرِحاً بإيمانه

هُوْ مِيطول دَشْفِرْ بَهْ بِمانوثِه

والشاهد في هذا أنّ الدال (ﻭ) قد دخلت على كلمة أولها حرف ساكن وهو الشين (ﺷ) والثاني من حروف «بجد كفت» وهو هنا حرف الفاء (ﻓ) في كلمة (ﺷﻔﺮ) ولو كان قاسياً لنطق به كما ينطق حرف (P) وقد كُسِرَ حرف الفاء بعد أن كان ساكناً تخلّصاً من التقاء الساكنين.

٥ – وظاهرة التقاء الساكنين التي تقتضي تحريك أحدهما في اللغات الساميّة هي التي تفسّر لنا السبب في أنّ حروف «بجد كفت» إذا جاء أحدها بعد حرفين ساكنين – كما هي الحال في الباء من كلمة «مَعْرِبا» (أي: المغرب) – فإنّها تنطق ليّنة. (أي: پ: ٧) وكان الأصل فيها أن تكون باء قاسية لأن ما قبلها الأصل فيه أنّه ساكن، وقد كسر بكسرة خفيفة لأنه سُبق بساكن، وكان المخرج من التقاء الساكنين كسر ثانيهما[1] وهو هنا الراء، وهذا ما سوّغ نطق الباء ليّنة.

ولا تنطبق هذه القاعدة على نحو (السيئة) «بيشْتا». فحرف التاء (ﺗ) جاء مسبوقاً بمقطع مغلق مكوّن من ياء المدّ والشين الساكنة، وتعليل هذا أنّ الصوت الأوّل من هذين الصوتين حرفُ مدّ فعُومل على أنّه حركة كسر مشبعة لحرف

---

(١) يُتخلّص من التقاء الساكنين في العربيّة بتحريك أوّلهما وليس الثاني، مثل: «قالت امرأة العزيز»، مِنَ اللّه... الخ. وثمّة فرق آخر بين العربيّة وشقيقتيها السريانية والعبريّة، وهو أنّ العربيّة قد تسمح بالتقاء الساكنين على تفصيل يذكره اللغويون، ومن ذلك جواز التقاء ساكنين في آخر الكلمة، نحو: هنْدْ ودعْدْ ورعْدْ... أما هاتان اللغتان فتتخلصان منهما كما رأينا. إلّا أن بعض اللهجات العربيّة تضيق ذرعاً بالتقاء الساكنين دائماً فتراها تحرك فتقول: دَعِد وهِنِد كما في بلاد الشام أو دَعُد ورَعُد كما في العراق.

الباء الذي قبله، ولذا لم يلتق ساكنان، وإنّما التقى صوت مدّ طويل (أي حركة) بساكن وهو الشين، فظلّ حرف الشين على سكونه دون كسر على نحو قواعد التقاء الساكنين. ولذا جاء حرف التاء، وهو من حروف «بجد كفت»، قاسياً لأنّه سُبق بساكن.

حسبنا من القواعد التي تضبط هذه الحروف – لِيْناً وقَسْوة– ما ذُكر[1]. ونلتفت الآن إلى ما قد يلوح في العربيّة من أمثلة تستدعي النظر، لنرى: هل لهذه الظاهرة «بجد كفت» من بصماتٍ في عربيّة الأمس وعربيّة اليوم.

ولننظر إلى الكيفيّة التي تأتي عليها أحرف «بجد كفت»: هل تتبادل هذه الأصوات مع ما يناظرها من أصوات أخرى كالتي مرّت بنا في العبريّة والسريانيّة؟

ينبغي قبل الإجابة عن هذا السؤال – أن نذكّر ثانية بأن العربيّة تخلو أصلاً من حرفي (V) وهو الشكل الليّن للباء، و (P) وهو الشكل القاسي للفاء. ويذهب علماء السّاميات إلى أنّ (P) صوت سامي أصيل، ويقدّرون أنّه كان من أصوات الساميّة الأم. وليس غريباً أن يكون قد انقلب في كل أوضاعه في العربيّة إلى فاء، إذ أمر انقلابه إلى فاء ظاهرة معروفة في اللغات الساميّة وغيرها. انظر مثلاً كيف تنطق كلمة Philologisist، Philosophy، و Photographiereng و Phonetic وما شاكل ذلك من كلمات ألمانيّة أو انجليزيّة فيها Ph إنها تنطق فاء (f) وإن كانت ما تزال محافظة على أصل النطق بها قديماً، وما تزال بعض اللهجات الألمانية تنطق كلمات من مثل: Pfad، Pfahl، Pferd بالـ P على الاصل، وبعضها تنطقها متخففة منها.

وعلى أيّ حال فليس لدينا من الآثار العربيّة ما يدلّ على أن هذين الصوتين قد استخدما من قبل. فلندعهما ولنمض إلى بقيّة الأصوات.

في العربيّة كلمات تحمل المعنى نفسه تقريباً فضلاً عن تماثلها في الأصوات إلّا بالقدر الذي يفرق الأحرف اللينة من القاسية.

---

(١) انظر نولدكه ص ١٥ – ٢٠، بروكلمان ص ١٠أ – ١١

وفيما يأتي عرض لنماذج من هذه المواد التي توضّح تبادل التاء والثاء، والجيم والغين، والكاف والخاء، والدال والذال، ونكتفي بعرض ذلك من «لسان العرب» و «المزهر».

أمثلة من تبادل التاء والثاء:

نقت ونقث:

جاء في مادة (نقت): «يقال: نُقِتَ العظمُ ونُكِتَ إذا أُخرج مُخُّه» وفي مادة (نقث) «ونَقَثَ العظمَ يَنْقُثُه نقثاً وانْتَقَثَه: استخرج مُخَّه»

غثَّ وغث:

وجاء في مادة (غتت): «غثَّ الطعامُ يَغُثُّ، وأَغْتَثُّه أنا، وغَثَّ الكلامُ: فَسَدَ»
وفي مادة (غثث): «الغثُّ الرديء من كل شيء... وأَغَثَّ حديثُ القوم وغَثَّ: فَسَدَ ورَدُؤَ»

عَثَّ وعَثّ:

وجاء في (عثث): «وعَثَّه يَعُثُّه عَثّاً: ردّ عليه الكلام، أو وبَّخه به، كعَتَّه».
وفي (عتت): «وعَتَّه بالكلام يَعُتُّه عَتّاً: وبَّخه ووَقَمَه والمعنيان متقاربان، وقد قيل بالثاء».

تاب وثاب:

وفي مادة (ثوب): «ويقال: ثاب فلان إلى الله، وتابَ، بالثاء والتاء، أي عاد ورجعَ إلى طاعته... ورجل تَوّابٌ أَوّابٌ ثَوّاب منيبٌ، بمعنى واحد.
ومن ذلك أيضاً: رَجُل كَنْتَج وكَنْثَج وهو الأحمق. والخَثْلَة والخَثْلَة: أسفل البطن، والكُثّاب والكثّاب سهم صغير لتعلم الرّمي، وثَخٌّ العجين وثَخّ كَثُر ماؤه ولان... وأمثلة أخرى يجمعها السيوطي من كتب مختلفة[1].

---

(١) السيوطي: ١/ ٥٣٩

أمثلة من تبادل الجيم والغين:

جدف وغدف:

وفي مادة (جذف): «ومجذاف السفينة لغة في مجدافها كلتاهما فصيحة».

وفي مادة (غدف): «والغادِف: يمانيّة. والغادفُ والمِغْدَفةُ والغادوف والمِغْدَفُ: المِجْدافُ، يمانية»

فاغ وفاج:

وفي (فوج): «وفاج المسك: سطع، وفاجَ كَفاحَ».

وفي (فوغ) «وفَوْعَةُ الطيب: أول ما يفوحُ منه. قال ابن الأثير: ويروى بالغين لغة فيه».

وفي (فوع): «ويقال: وجدت فَوْعَةَ الطيب وفَوْغَتَه بالعين والغين، وهو طيبٌ رائحتُه تطير إلى خياشيمك».

وفي (فاح): «وفاح الطيب يَفُوحُ فَوْحاً إذا تَضَوَّع، الفرّاء: يقال فاحت ريحة وفاختْ... وفَوْحُ الحرّ: شدّة سطوعه».

أمثلة من تبادل الكاف والخاء:

لَكٌّ ولَخّ:

وفي (لَخَخَ):

«وسكران مُلْتخٌّ ومُلْطخٌّ أي مختلط لا يفهم شيئاً لاختلاط عقله».

وفي (لكك): «وجاءنا سكران مُلْتكّا: كقولك مُلْتخّاً أي يابساً من السكر».

كَدَشَ وخَدَشَ:

وفي (كدش): «والكَدْشُ: الخَدْشُ، يقال: كَدَشَه إذا خدَشَه. وجلد كدش: مُخَدَّش».

وفي (خدش): «خَدَشَ جلده ووجهَه يَخْدِشُه خدشاً: مزقه. والخَدْشُ مَزقُ الجلد، قل أو كثُر».

خَنَعَ وكَنَعَ:

وفي (خنع): «الخُنُوع: الخضوع والذل».

وفي (كَنَعَ): «وكَنَعَ يَكْنَعُ كُنُوعاً وأكْنَعَ: خَضَعَ، وقيل دنا من الذّلّة».

ومن ذلك أيضاً: خَبَن الثوب وكَبَنَه إذا قَصَّره[1]، ووخر ووكز، وسكّين وسخّين، ولعلّ من ذلك: الكِرْبز والخِرْبز[2].

أمثلة من تبادل الدّال والذّال:

دَفِرَ وذَفِرَ:

وفي (ذفر): «قال ابن سيدة: وقد ذكرنا أنّ الذّفَر، بالدال المهملة، في النتن خاصة. والذّفَر: الصُّنان وخُبْثُ الريح»

وفي (دَفِر): «والدَّفَر: النَّتنُ خاصة ولا يكون الطيب البتةَ. ابن الأعرابي: أدْفَرَ الرجل إذا فاح ريح صُنانِه. غيره: الذّفَرُ، بالذال وتحريك الفاء، شدّة ذكاء الرائحة، طيّبة كانت أو خبيثة».

دَفَّف وذَفَّف:

وفي (دفف): «ودَفَّفَ على الجريح كَذَفَّفَ: أجهز عليه... وفي رواية: أقْعَصَ ابنا عفراء أبا جهل ودَفّف عليه ابن مسعود، ويروى بالذال المعجمة بمعناه... يقال: ذَفَّفْتُ عليه تذْفيفاً إذا أجهزت عليه».

---

(١) ابن منظور (خبن، كبن) والسيوطي ١ / ٤٧٢

(٢) جاء في لسان العرب أنّ الكرْبز هو القِثّاء الكبار، وأمّا الخِرْبز فهو البطيخ بالفارسيّة. انظر ابن منظور (كربز، خربز)

ومن ذلك ما ذكره السيوطي في المزهر: خَرْدَلْتُ اللحم وخَرْذلته: قطعته. واذْرَعَفّت الإبل واذْرَعَفّت: مضت على وجوهها، واقْذَحَرّ واقذحَرّ، وعدوفاً وعذوفاً: أي مأكولاً، ورجل مِذْل ومِذل: القليل اللحم، والدّحْداح والذحْذاح: القصير. وبَلْذَم الفرس وبَلْدَمه: صدره، ودَحْمَلْتُ الشيء وذحْمَلْتُه: دحْرجْتُه، ودَفَفْت على الجريح وذَفَفْتُ: أجْهَزتُ عليه. والخُنْدَع والخُنْذَع: الخسيس، وغَمَيْدَر وغَمَيْذَر: المتَنَعِّم، وقِنْدَحْر وقِنْذَحر: المتعرِّض للناس، وحرْدَون وحِرْذَون: دابّة أو سبع، ومَرَد الخُبْزَ ومَرَذه: لَيَّنه، وقاذيه من الناس وقاديه: القليل من الناس... الخ[1].

نحن، إذن، أمام ظاهرة في العربيّة تشبه – على نحو ما – نظيرة لها في بعض شقيقاتها من اللغات السّاميّة – هي ظاهرة «بجد كفت» – فما حقيقة هذا الشبه الذي نجده بين هاتين الظاهرتين؟ وهل كانت الظاهرة الساميّة تسري قوانينها ذات يوم على العربيّة ثم انفرطت قوانينها مع الزمن ولم يعد منها سوى آثارها؟

لا شكّ في أنّ ما بين الظاهرتين من تشابه يستهوي – ولو للوهلة الأولى – وجود تفسير ساميّ لما نحن بصدده في العربيّة من شواهد لغوية. بيد أنّ المرء لا يستطيع أن يمضي كثيراً مع هذا المنطلق ليفسر في ضوئه الظاهرة العربيّة دون أن تعترضه عوارض كبيرة، نذكر منها الأمور الآتية:

١ – لقد رأينا أنّ الظاهرة السّاميّة «بجد كفت» لها قواعد نافذة مطّردة يتحول معها الصوت من النطق اللين إلى القاسي أو العكس وهذه القواعد أو ما يماثلها لا وجود لها في العربيّة. فالدال والجيم والكاف والتاء تقع في البيئات الصوتيّة نفسها التي تقع فيها مقابلاتها اللينة أو الرخوة: الذال والغين والخاء والثاء.

٢ – صحيح أنّ الألفاظ التي سردنا نماذج منها في هذا البحث، قد تبادلت المواقعَ فيها الدالُ والذال، والجيمُ والغين، والكافُ والخاء، والتاءُ والثاء، ولم يترتّب على تبادل حروفها اختلاف في المعنى، لكن استبدالَ الذالِ بالدال، والغين بالجيم، والخاء

---

(١) انظر: السيوطي ١/ ٥٤٤ – ٥٤٧

بالكاف، والثاء بالتاء، في غير هذه الألفاظ، يترتّب عليه فرق كبير في المعنى. وهو الفرق الذي يُحْدثه استخدامُ فونيم (أي حرفٍ مستقلّ) بدل فونيم آخر. فمعنى خليل مغاير لمعنى كليل، ومعنى خفر ليس هو معنى كفر، وأين الحِداء من الحذاء؟

٣ – وحتى الكلمات التي سبق ذكرها مما اتّحد لفظه ومعناه إلّا في بعض أحرف «بجد كفت» نجد تمايزاً جليّاً في استعمال هذه الكلمات أو استعمال مشتقاتها؛ فمن معاني الغِذْفَة (بالدال المهملة) «لباس الملك ولباس الفول والدَّجْر ونحوهما»[١] ولا نجد هذا في مادة (جذف)[٢] بالذال المعجمة، ونجد في مادة (جدف) التجديف وهو الكفر بالنِّعم، والجَدَف وهو القبر والجُدَافىٰ أو الجُدافاة وهي الغنيمة وهي معان لا نجدها في مادة (غدف). بيد أن المرء ينبغي له ألّا يهمل عنصر الزمن في تراكم هذه المشتقّات وما يمكن أن يترتب عليه من فروق في المعنى فالغُداف معناه الغراب، «وخَص بعضُهم به غرابَ القيظ الضخمَ الوافرَ الجناحين»[٣] فثمة علاقة بين تسمية الغراب بهذا الاسم وجناحيه، وقال الكسائي: «جناحا الطائر مجدافاه»[٤] بالدال المهملة. «وجَذَف الطائر يَجْذِف أسرع تحريك جناحيه»[٥] بالذال المعجمة. وهكذا نجد قدراً مشتركاً يجمع بين استعمال هذه المواد: جذف، وجدف، وغدف، ثم تنوّعت استعمالات هذه المواد تنوعاً ظلّت فيه ملتقية في بعض الجوانب فالمجذاف والمجداف والمغدَف للسفينة كالجناح للطير ووجه الشبه قائم لا يخفى. وقد اختلفت في بعض الجوانب وهذا ما يفسر لنا تسمية الغراب أو نوع من الغربان بالغُداف ولم نجد له اسماً من مادة جذف أو جدف. ولما صارت كلمة غداف خاصة بالغراب،

---

(١) ابن منظور (غدف) والدَّجْر: اللوبياء

(٢) ابن منظور (جدف)

(٣) ابن منظور (غدف)

(٤) ابن منظور (جدف)

(٥) ابن منظور (جذف)

والغراب أبرز ما فيه سواده انتقل المعنى إلى الليل لسواده، والى الشعر الأسود الطويل وإلى كل جناح أسود طويل، وقيل كل أسودَ حالكٍ غُداف ثم انتقل المعنى إلى الإسباغ وارخاء الستر فقيل «أغدفت المرأة قناعها: أرسلته وأغْدف عليه ستراً: أرسله... والقوم في غِدافٍ من عيشهم أي في نعمةٍ وخصْب وسعَة»[1].

وقد مسَّ ابن جنّي هذا الموضوع في باب أسماه «باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»[2]

٤ – إنّ ما يُروى من تبادل بين هذه الأحرف ليس قصراً عليها فحسب، فالتاء تتبادل مع الثاء لما بينهما من قرب صوتي كما مرّ، وهي تتبادل مع مجموعة كبيرة من الأصوات تذكرها كتب اللغة[3] كتبادلها مع الطاء كالأقطار والأقتار: النواحي، ورجل طَبِنٌ وتَبِنٌ، وما أسطيع وما أستيع، وكتبادلها مع الدال، نحو سبنتى وسبندى للنمر والسّدى والستّى للثوب، والتولج والدولج. ومن تبادلها مع السين: الناس والنات وأكياس وأكيات، وتتبادل الثاء مع الفاء في مثل الحثالة والحفالة وثلغ رأسه وفَلَغَه إذا شدخه. وتتبادل الخاء والهاء ومن ذلك: صَخَدَته الشمس وصَهَدَته إذا اشتد وقعها عليه، وبَخْ بَخْ وبَهْ بَهْ... الخ. كما أن التبادل لا ينحصر في هذه الأصوات بل يتجاوزها إلى الأصوات الأخرى كالزاي والسين والصاد، نحو سَقّر وصَقّر وزَقّر بمعنى واحد. والصاد والطاء، نحو اغتاصت رَحِمُها واغتاطت إذا لم تحمل أعواماً، وغير ذلك كثير[1]

---

(١) ابن منظور (غدف)

(٢) ابن جني ٢ / ١٤٥

(٣) انظر مثلاً: السيوطي ١ / ٢

لا شك أن قرب الأصوات في صفاتها ومخارجها يفسر لنا تبادلها، سواء أكان في ظاهرة «بجد كفت» أم في العربيّة أم سواها من اللغات الأخرى الساميّة منها وغير الساميّة، بيد أن ما يميّز ظاهرة «بجد كفت» تميزاً واضحاً اطّراد حصولها وفقاً لقواعد محدّدة وعدم وجود أي فرق في المعنى أو الاشتقاق بين الكلمة التي تضمّنت الصوت في حال لينه أو قسوته.

ولعل في هذا التصاقب بين اللفظ والمعنى ما يفسر سبباً مهماً من أسباب ظاهرة الترادف في العربيّة، ويفسر أيضاً سبب وجود هذه الظاهرة في شقيقاتها الساميّات. كما أنّ اختلاف اللهجات بين القبائل العربيّة يؤلف عاملاً أساسياً في وجود هذه الظاهرة. فبعض القبائل تميل لأسباب صوتية أو اجتماعية إلى ترجيح الزاي على السين في مثل: اللزق بدلاً من اللصق أو اللسق، والبزاق بدلاً من البساق أو البصاق وكما يحدث في نطق بعض المصريين[٢] السين زاياً فيقولون: أزبوع بدلاً من أسبوع ... والعلة الصوتية في هذا واضحة وهي تأثر السين، وهي صوت مهموس، بالباء وهي صوت مجهور، لذلك انقلبت السين المهموسة المجاورة للباء المجهورة إلى حرف مجهور من المخرج نفسه هو الزاي، لكي تماثل الباء.

وقد حدث نحو هذا في غير العربيّة، فالإنجليزية تعرف حرف S، ولكنّه ينطق تارة سيناً وأخرى زاياً، كما في Bags و Books

وتأثرت العربيّة بظاهرة «بجد كفت» فيما أخذته عن اللغات الساميّة من ألفاظ، نحو:

يهود ويهوذ، وبغداد وبغذاذ وبغداذ وبغذاذ[١]، وهي تسمية فارسية[٢]، والكرك والكرخ وكرخيتي وأصل معناها المدينة الحصينة أمّا الكَرَك فمدينة في الأردن ذات قلعة حصينة،

---

(١) انظر السيوطي ١/ ٤٦٢ – ٤٦٨ و ٥٣٨ – ٥٥٥، و ٥٥٧ – ٥٦٥ وابن جني ٢/ ١٤٥، واليسوعي ١١ – ٤١

(٢) انظر فرنواني ص ٩٢

(١) انظر ابن منظور (بغدد)

(٢) انظر صدّيقي ص ٣٥ ولا يمنع أصلها الفارسي من أن يكون تنوع نطقها العربي متأثراً بالآراميّة التي كانت تسود هناك قبل الإسلام ويقال إنها مركبة من مقطعين: بغ ومعناها صنم، وداد ومعناها عطيّة. أي: عطيّة الصنم. انظر ابن منظور (بغدد)

وأما الكَرْخ فحيّ في بغداد، وأمّا كرخيتي فقلعة قرب أرْبل في العراق. ويبدو أن أصل التسمية سامي قديم، فإن كَرْكا ܟܪܟܐ تعني بالسريانية المدينة الحصينة، وهي في العبريّة كَرَخ وكِرَخ קָרָךְ، קִרָךְ وتعني المعنى السرياني نفسه[1].

وبعد، فإنّ واقع اللغة الوصفي يقرّ بأن حروف العربيّة لها وظيفة متميّزة في أداء الكلمة معناها، فيترتب على استبدال أحدها بالآخر تغيّر في المعنى (انظر: ذليل ودليل؛ زهرة – وسهرة...). بيد أنّ ثمّة حروفاً لا يؤدي استبدال شبيهاتها بها إلى اختلاف في المعنى (غدف وجدف وجذف؛ بغداد وبغذاذ...). ولكنه التقاء ظاهري؛ وذلك لأن ظاهرة «بجد كفت» لها قواعد مطردة – كما رأينا – ولا نجد هذه القواعد في العربيّة. وفي هذا ما يرجّح أنّ هذه الظاهرة مرهونة بالمفارقات اللهجيّة العربيّة. ولكن هذا لا يمنع من أن يفترض أن الأصوات الساميّة المتقاربة كالذال، والدال، والكاف، والخاء، والسين، والشين... كانت ألواناً مختلفة لحرف واحد – كما تشهد بذلك ظاهرة «بجد كفت» والألفاظ العربيّة التي لا يترتّب على اختلاف نطق بعض حروفها اختلاف في المعنى.

وهذا يعني أن الحروف العربيّة ربما كانت أقل مما هي عليه. ولّما ازدادت الحاجة إلى التوسع اللفظي استقلّت الألوان المتنوعة لنطق الحرف الواحد لتصبح حروفاً جديدة يترتب على تباينها تباين المعاني.

ومما يشجع على قبول هذا الافتراض أن العربيّة قد طوّرت نفسها في مجالات عديدة بالمقارنة مع أخواتها الساميات وقد حصل هذا التطور في جوانب شتى كالأصوات، والمعاني، والألفاظ، والتراكيب[1]. وقد تمّ هذا كله في عصور سحيقة قبل الإسلام. ولئن كانت النصوص التوثيقيّة لا تسعفنا في الوقت بدقّة على مراحل هذا التطور قبل الاسلام إلّا أن مقارنة العربيّة باللغات الساميّة تشير – دون شك – إلى قدر كبير منه.

---

(١) انظر ريحي كمال (١٩٧٢) ص ٤٩.

(١) انظر حول هذه الموضوعات ما كتبه برجشتريسر في كتابه: التطوّر النحوي

ومما يمكن ذكره في تفسير هذه الظاهرة ما ألمحنا إليه من حديث اللغويين عن تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وهي من محاولاتهم في شرح ظاهرة الاشتقاق. وهم في هذا يذهبون إلى أن كثيراً من المواد التي اشتركت في أصل مادتها بحرفين واختلفت في ثالثٍ فإنها تشترك بقدر في المعنى (انظر نقت ونقث، غتّ وغث...)

وممّا يعزّز هذا الرأي ويَعْضُده ما يذهب إليه علماء الساميّات في حديثهم عن نظريّة الثنائيّة الساميّة، وهي التي تنطلق من اعتبار الكلمات الساميّة بوجه عام ثنائية الأصل. فكلمة قلقل وزقزق وما شاكلها تعود في الأصل إلى حرفين تكرّرا، وكذلك الكلمات الثلاثيّة نحو: نقش ورقش، ونقت ونقث... فإنّ الأصل فيها ما اشتركت فيه من حروف، وهي تنتمي في المعنى إلى أسرة واحدة.

ولا شكّ في أن قضيّة التصحيف والتحريض كان لها أكبر الأثر في الخلط بين المواد اللغويّة في بداية جمع اللغة وهذا سبب لا يخفى في إلقاء نظرة على أسباب هذه الظاهرة.

أمّا الألفاظ الساميّة القديمة، نحو: بغداد وبعذاذ وبغداذ، وبغذاذ... والكرك والكرخ... وما شاكل ذلك من تسميات ساميّة قديمة وكذا الألفاظ التي يمكن أن تكون العربيّة قد تأثرت فيها بشقيقاتها الساميات، أما هذه الألفاظ، فقد تكون العربيّة متأثرة في نطق أصواتها بما تفسّره ظاهرة «بجد كفت».

إنّ هذه الأسباب مجتمعة، قد أسهم كلّ منها في نشوء هذه الظاهرة التي نرجو أن نكون قد ألقينا – ولو بقدر – بعض الضوء عليها.

المراجع

(وهي مرتبة وفقاً للمختصرات التي أوردت أثناء البحث)

١ – ابن الباذش=

أحمد بن علي بن أحمد بن الباذش، الاقناع في القراءات السبع، تحقيق عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، ١٤٠٣

٢ – بروكلمان (١٩١٦)=

C. Brockelmann, Semitische Sprachwissenschaft, Zweite verbesserte Auflage, Berlin und Leipzig 1916

٣ – بروكلمان (١٩٨١)=

C. Brockelmann, Syrische 'grammatik, 13. unveranderte Auflage, Leipzig 1981

٤ – بيرجشتريسر (١٩٦٣)

Gotthelf Bergsträsser, Einführung in die Semitischen Sprachen, Darmstadt 1963

٥ – بيرجشتريسر (١٩٨٢)=

بيرجشتريسر، التطور النحوي، نشره رمضان عبد التواب ١٩٨٢

٦ – جان كانتينو=

جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربيّة، نقله إلى العربيّة صالح القرمادي، الجامعة التونسيّة ١٩٦٦

٧ – ابن جنّي=

أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (بدون تاريخ)

٨ – الداني =

عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه أوتو برتزل، استانبول ١٩٣٠.

٩ – ربحي كمال (١٩٧٢) =

ربحي كمال، التضاد في ضوء اللغات السّاميّة – دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربيّة ١٩٧٢

١٠– ربحي كمال (١٩٧٨) =

ربحي كمال، دروس اللغة العبريّة، دار النهضة العربيّة، بيروت ١٩٧٨

١١– السيوطي =

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ)

١٢– صديقي =

A. Siddiqi, Studien über die Persischen Fremdwörter im klassischen Arabisch, Göttingen 1919

١٣– العاني = سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربيّة، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي – جدة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣.

١٤– فرنواني =

Refaat el- Farnawany, Ägyptisch-Arabisch als Geschriebene Sprache

١٥– قمحاوي = محمد الصادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، القاهرة (بدون تاريخ)

١٦– مكّي =

مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق محيي الدين رمضان مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م

١٧- ابن منظور=
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ)
١٨- نولدكه=
Theodor Nöldeke, Kurzgefasste Syrische Grammatik, Leipzig 1898
١٩- يسوعي=
رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة العربيّة، الطبعة الثالثة، دار المشرق، بيروت ١٩٨٤.